مجلة الآداب واللغات- العدد 14 نوفمبر 2008

أبو الطفيل عامر بن واثلة الكِناني

"حياته وشعره"

د/ ممدوح محمود يوسف حامد

جامعة الزيتونة الأردنية

أبو الطفيل : مولده وحياته

هو أبو الطفيل[1] عامر بن وأثله بن عبد الله بن عمر بن جُهيش أبن حرى بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن علي بن كِنانة الكِناني[2] ثم الليثي ، المكي.

ولد في عام أُحد في السنة الثالثة للهجرة ، وأدرك من حياة النبي ثمان سنين وله صحبة.

رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وحفظ عنه تسعة أحاديث " وأما سماعه منه صلى الله عليه وسلم فلم يثبت ".[3]

روى عن أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، ومعاذ ، وأبن مسعود ، وأبن عباس ، وأبن الحنفية وغيرهم .

وروى عنه الزهري ، وقتادة ، وعكرمة ، وعمرو بن دينار وغيرهم. فقد ورد أن أبا الفضل روى علن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لو لم يبق من الدهر يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ".[4]

وعن أبن خيثم قال أبو الطفيل :(لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غَزاة تبوك نزل الحِجر فقال: " أيها الناس لا تسألوا نبيكم آيات ... الخ")[5]

وروى عن ابن عباس عن علي (وفديناه بذبح عظيم) قال: "هو كبش أبيض أقرن أيمن مربوط بسمر من ثبير"

و عن رواية أبي الطفيل عن محمد بن الحنفية ، كنا عند علي فسأله رجل عن المهدي، فقال: يخرج في آخر الزمان ، وقال ابن الحنفية أتريده ؟ قال: نعم ، قال: فإنه يخرج من بين هذين الأخشبين ، قلت لا جرم والله لا أدعها حتى أموت ، ومات بها يعني مكة[6].

وقال أبو الطفيل: سمعت عليا عليه السلام يخطب ويقول :- " سلوني قبل أن تفقدوني ...الخ "

ويقال إنه آخر من مات ممن رأى النبي[7] صلى الله عليه وسلم وكان يفاخر ويقول:- "ما على وجه الأرض رجل اليوم رأى النبي صلى الله عليه وسلم غيري[8] "

حمل راية علي بن أبي طالب في مشاهده كلها وعاش إلى ما بعد أيام معاوية بن أبي سفيان.

و كتب إليه معاوية يلاطفه ويدعوه إلى الشام فاستجاب لدعوته وبعد وفاة سيدنا علي خرج من الكوفة ونزل مكة حتى مات بها 100هـ[9] و يقال إنه مات بالكوفة والأصح إنه مات بمكة ، وبعد أن عاصر خلافة عمر بن عبد العزيز ، وخرج على بني أمية مع المختار الثقفي مطالبا بدم الحسين ، ولما قتل المختار انزوى عامر بعض الوقت إلى أن

خرج مع ابن الأشعث يقاتل بني أمية وعمالهم والخوارج والزبيريين .وقد قال عنه علي كرم الله وجهه : " آخر من بقي ممن رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أبو الطفيل عامر بن واثله أليثي ويقال الكناني " .

وهو مكي ثقة أدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين[10] " .

و قد ذكره ابن أبي خيثم في شعراء الصحابة ، وكان فاضلا عاقلا حاضر الجواب فصيحا ، وكان متشيعا في علي رضي الله عنه وال بيته وكان أبو الطفيل خطيبا مفوها وشاعرا محسنا وهو القائل :

أيدعونني شيخا وقد عشت حقبة وهن من الأزواج نحوي نوازع.

وما شاب رأسي من سنين تتابعت علي ولكن شيبتني الوقائع[11]

فالوقائع والحروب التي خاضها هي السبب في أن يغزو الشيب رأسه وليس عدد السنين المائة التي عاشها.

و إضافة إلى كونه قائدا محنكا وشاعرا محسنا ، فقد كان خطيبا كذلك فقد كان يسخّر هذه الخصائص في شخصيته لقيادة الجيوش ورفع رايات الحرب فقال الشعر في أغلب أغراضه كالحماسة والوصف والرثاء والمدح والثناء وكذلك كان يخطب في جنده في الوقت المناسب في أيام الفتن والقلاقل التي أشعل نيرانها بنو أمية وقوادهم وغيرهم من الخوارج والزبيريين. وذلك مذ كان شابا يافعا حتى صار كهلا في آخر أيامه حيث لم تفتر عزيمته ولن يلين جانبه في الوقائع والحروب التي خاض غمارها بل ظل فارسا ملتزما مدافعا عن الحق ضد الفتن والمفاسد ومدبريها لا تأخذه في إحقاق الحق ودفع المظالم وردء المفاسد لومة لائم حتى إنه سخر نفسه جنديا صادقا أمام أصحاب الجاه والسلطان مما يدل على شجاعته وجرأته حتى لو كلفه ذلك حياته.

فمقارعة الفرسان وقتالهم كانت سمة من سماته، ولعل الوقت الذي ولد فيه شاعرنا وهو غزوة أحد كان رمزا إلى ما ينتظر هذا المولود من حياة الكفاح والنضال ، فكان مولده على صوت قعقعة السلاح وضربات السيوف وطعنات الرماح .

فقد كان يمتاز برجاحة عقله ، وقوة إيمانه ، وثباته على المبدأ الذي دافع عنه وهو إخماد الفتن والمظالم والمفاسد التي كانت سائدة في عصره ، إضافة إلى الشجاعة والجرأة المتناهية في قول الحق ورد الظلم وقد كان ذلك واضحا عندما استجاب لدعوة معاوية له للحضور إلى الشام ولما طرح عليه معاوية تلك الأسئلة المحرجة فقال معاوية : كيف وجدك على خليلك أبا الحسن علي ؟ قال أبو الطفيل : كوجد أم موسى على موسى وأشكو إلى الله التقصير[12].

وقد سأله معاوية مرة أخرى .

فقال : يا أبا الطفيل .

قال أبو الطفيل : نعم .

قال معاوية : أنت من قتلة عثمان ؟

قال أبو الطفيل :لا ولكني ممن حضره ولم ينصره

قال معاوية :وما منعك من نصره ؟

قال أبو الطفيل : لم ينصره المهاجرون والأنصار ، فلم أنصره؟!

قال معاوية :لقد كان حقه واجبا ، وكان عليهم أن ينصروه .

قال أبو الطفيل :فما منعك من نصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه ؟

قال معاوية :أو ما طلبي بدمه نصرة له ؟

فضحك أبو الطفيل وقال : مثلك ومثل عثمان كما قال الشاعر[13]:

لأعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

إن هذا الحوار الذي دار بينه وبين معاوية الأموي –وهو في الحكم آنذاك- يجعلنا مندهشين من الجرأة التي ردّ فيها أبو الطفيل على معاوية والتي قد يظهر فيها التناقض للاختلاف بين الطرفين في السياسية والموقف .

فكان أبو الطفيل محباً لعلي رضي الله عنه ، ومصاحباً له في وقائعه وحروبه ضد الأمويين ، وبخاصة معاوية الذي رفض مبايعة أمير المؤمنين عليّ ، وأعلن العصيان مع أهل الشام ، ورفض إعلان الولاء للخليفة .

فكيف بمعاوية يكاتب أبا الطفيل ويلاحظه ويدعوه إلى الشام ؟!

هذا السؤال بحاجة إلى إجابة لعلها تكمن في تقدير معاوية للشجاعة والتفاني والإخلاص لأولي الأمر وهي صفات يحمدها القادة الكبار في رعاياهم ، فقد كان معاوية يتمنى أن يخلص له أصحابة كإخلاص أبي الطفيل لعلي[14] ، وهذا الإخلاص الذي لاحظه معاوية عند أبي الطفيل للإمام علي ليس مقتصراً على أبي الطفيل بل هو كغيره من الشيعة في هذا الإخلاص ، ويظهر ذلك جلياً في قوله:

وقلنا عليٌ لنا والـدٌ و نحن في طاعته كالولـد[15]

وربما تكون أسئلة معاوية لأبي الطفيل من باب الإحراج والتشفي لكن الجرأة والشجاعة التي كان يتميز بها أبو الطفيل عن بقية شعراء الشيعة الذين كانوا يعمدون إلى استخدام مبدأ "التقيّة" حيث المجاملة والمداهنة والمدارة لأصحاب الشأن ما داموا في دارهم.

هي التي دفعت بشاعرنا أن يردّ على معاوية ذلك الرد مستخدماً ما حباه الله إياه من حضور بديهته ، وقوة حجته ، وسرعة إجابته ، فقد أحرج معاوية بدلاً من أن يُحرجه، دون مراعاة لمكانته ومقامه ، وذلك عندما سأله معاوية عن قتل عثمان ، فأجابه أبو الطفيل: بأنه لم يكن من قتلته ، ولكنه حضر مقتله ولم ينصره ، وحجته إن المهاجرين والأنصار لم ينصروه.

وعلى الفور بادره أبو الطفيل بأن طرح عليه السؤال نفسه، ولماذا لم تنصره أنت يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه ؟ وأنت الأولى بنصره؟ فهذا السؤال أحرج معاوية، وزاد في إحراجه عندما تمثل أبو الطفيل ببيت شعر للنابغة الجعدي وفيه تعريض بمعاوية.

من خلال الحوار الذي أثبتناه – بين معاوية وأبي الطفيل- نستخلص مجموعة من الخصائص منها:

1. التأثر بالقصص القرآني كقوله: " كوجد أم موسى على موسى"[16] أو "كحُب أم موسى إلى موسى"

2. التعريض : وذلك عندما قال أبو الطفيل لمعاوية: مثلك ومثل عثمان كما قال الشاعر: لأعرفنك بعد الموت تندبني... الخ
3. الرد بالمثل: عندما سأل أو الطفيل معاوية : فما منعك من نصره يا أمير المؤمنين ، وأنت أبن عمه؟
4. الغبطة: كان معاوية يغبط أبا الطفيل لإخلاصه ، وتفانيه في حبه لصاحبه علي ، ويتمنى أن يجد في أصحابه مثل أبي الطفيل في إخلاصه ، فقال معاوية وفي مجلسه مجموعة من أصحابه على رأسهم عمرو بن العاص:"إنّ أصحابي لو سئلوا عني ما قالوا فيّ ما قلت في صاحبك"

إضافة إلى المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التي كان يتمتع بها شاعرنا بين أبناء الشيعة وبخاصة ساداتها كالإمام علي رضي الله عنه ، وأبن الأشعث ، وأبن الحنفية ، والمختار وغيرهم ممن كان لهم الدور الأكبر في تحقيق الانتصارات وإلحاق الهزائم بأعداء الشيعة كالخوارج والزبيريين وبني أمية وعمالهم ، وقد كان شاعراً فارساً مغواراً ألفته ساحات الوغى وأكتسب الخبرة الحربية التي أهلّته لأن يكون في الطليعة بين أقرانه من قادة الجيوش وفرسانها وحملة راياتها بكل بسالة وإقدام ، هذه الصفات الجهادية ساعدت على أن تنعكس على أفراد أسرته التي لقي كل واحد منها نصيبه في الجهاد وتبعاته ، فمن خلال البحث وجدنا أسرة أبي الطفيل تتكون من ثلاثة أولاد وزوجة أكبرهم الطفيل ، ومطرف ، ويحي . فاختار ابنه الأكبر أن يسير على نهج أبيه مجاهدا ومدافعا عن المعتقد ومخلصا لآل البيت وجنديا من جنود عبد الرحمن بن الأشعث – أحد قادة الشيعة – الذي كان يقاتل جيش الحجاج " أحد قادة بني أمية " في موقعة الزاوية – وهي موضع قرب البصرة – وهي من أشهر المعارك التي قتل فيها خلق كثير . من الطرفين ، وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث الطفيل بن عامر ابن واثلة الليثي الذي قتل 82 هـ وقد كان والده في حدود الثمانين من عمره . وقد أثر فقدان الإبن – الطفيل – في أبيه عامر تأثيرا كبيرا هدّ أركانه . فقال يرثيه في قصيدة مطلعها :

خلى طفيل عليّ الهم وانشعبا وهدّ ذلك ركني هدّه عجبا[17]

و كما أثر الأب بابنه في الجهاد ضد الظلم والفساد فقد كان الإبن كذلك شاعرا. فقد أورد ابن الأثير خبر مقتل عبد ربه الكبير على يد المهلب فقال الطفيل بن عامر ابن واثلة يذكر مقتل عبد ربه الكبير وأصحابه ويرثيهم ويفخر بهم وفي الوقت نفسه يصف قطري بن الفجاءة بالكفر والضلال فيقول:

لقد مس منا عبد رب وجنده عقاب فأمسى سبيهم في المقاسم
سما لهم بالجيش حتى أزاحهم بكرمان عن مثوى من الأرض ناعم
وما قطري الكفر إلا نعامة طريد يدوي ليله غير نائم
إذا فر منا هاربا كان وجهه طريقا سوى قصد الهدى و المعالم
فليس بمنجيه الفرار وان جرت به الفلك في لج من البحر دائم[18]

نرى ابن الطفيل يفتخر ويسعد بتحقيق النصر على الخوارج وقادتهم ، وكيف أنهم عملوا على تشتيت شملهم ، ودحرهم مهزومين ، ثم يصف زعيمهم قطري ابن الفجاءة بالكفر والجبن والضلال وعدم الثبات في ساحات الوغى

والفرار أمامهم . ويتبع ذلك بالتهديد والملاحقة لفلول جيشهم المهزوم أيا كانت وجهة هربهم فإن ذلك ليس بمنجيهم ولا يعفيهم من العقاب الذي سيحل بهم حتى لو سلكوا طريق البحر .

هكذا كان الابن يتقيل آثار أبيه وينهج نهجه في مواقفه الجهادية والنضالية ومن مواقف أبي الطفيل الجهادية الشجاعة أنه كان رفيقا ومصاحبا للقادة الكبار من الشيعة ، وكان حاملا لواءهم في أكثر من موقعة ولقاء مع الأعداء ومنها فتنة ابن الأشعث في سنة 82هـ . عندما طلب الحجاج من ابن الأشعث – وكان يبغضه – أن يدخل بلاد رتبيل ملك الترك بعد أن قتل جماعة من المسلمين فقال الحجاج لابن الأشعث : يا ابن الحائك ، الغادر ، المرتد ، امض لما أمرتك به من الإيغال في أرض العدو ، وإلاّ حلّ بك ما لا يطاق ، وكان الحجاج يبغض ابن الأشعث ويقول : " هو أهوج ، أحمق ، حسود ، وأبوه هو الذي سلب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ثيابه وقاتله[19].

بعد أن تلقى ابن الأشعث هذا الأمر مصحوبا بالتهديد والوعيد ،أطلع ابن الأشعث جنوده عليه ليأخذ رأيهم في ما طلبه الحجاج ، فثار الجند وتذمروا وقالوا : نأبى على عدو الله ولا نسمع ولا نطيع وكان أبو الطفيل أول[20] من تكلم في ذلك وكان شاعرا خطيبا وكان مما قال :

"إن مثل الحجاج في هذا الرأي ومثلنا ، كما قال الأول لأخيه . احمل عبدك على الفرس ، فإن هلك ،هلك ، وإن نجا فلك . أنتم إذا ظفرتم كان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن هلكتم كنتم الأعداء البغضاء ، ثم قال : اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا لأميركم عبد الرحمن بن الأشعث ، فإني أشهدكم إني أول خالع للحجاج ، فقال الناس من كل جانب : خلعنا عدو الله ووثبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث فبايعوه عوضا عن الحجاج"[21].

نلاحظ أن شاعرنا بحكمته وحرصه الشديد على المصلحة العامة جعله يتقدم غيره من القادة والجنود في إعلان رأيه ضد صاحب السلطان دون تردد ودون خوف مما يتبع ذلك من عواقب قد تلحق الأذى به ، فقال رأيه بصراحة في كلمات موجزة وقليلة ،ولكنها تحمل معاني كثيرة ، فاستهل خطبته بمثل صاغه بأسلوب بلاغي مؤثر ، ثم طرح وجهة نظره بأسلوب قوي الحجة ، سريع الإقناع للسامعين ، الأمر الذي جعلهم يتجاوبون مع وجهة نظره ، ويوافقون دون تردد على طرحه من خلع الحجاج عدو الله .

كما رأينا كان أبو الطفيل في خطبته لا يقل فصاحة وبلاغة عنه في شعره . فخبرته في الحياة النضالية جعلته جريئا في قول الحق وقدوة لغيره في إبداء الرأي السديد، غير آبه بما قد يلحق به من متاعب ، إضافة إلى صياغة رأيه بكلمات موجزة معبرة ومؤثرة بالأسلوب الذي اعتمد فيه على الحجة والبرهان والإقناع . ومثل هذه الشخصية المميزة رسخت ثقة قواده به ، فهو رجل المهام الصعبة ، فقد روى ابن الأثير في الكامل: "عندما أرسل معاوية بن شجرة الرهاوي إلى مكة ليقيم للناس الحج ، ويأخذ له البيعة من أهلها بعد أن ينفي عنها عامل علي وهو قثم بن العباس ، فسار يزيد بثلاثة آلاف فارس، ولما علم عامل علي " قثم بن العباس " أخبر أهل مكة بمسير الشاميين إليهم ودعاهم لحربهم ، فخرج قثم إلى شعاب مكة ، وأرسل يخبر أمير المؤمنين بالخبر ،فما كان من أمير المؤمنين إلا أن أرسل جيشا لتدعيم عامله قثم في مكة ، وكان من قادة ذلك الجيش أبو الطفيل"[22].

و من مواقف شاعرنا الشجاعة عندما ا بعث ابن الزبير لمحمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته ، وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة ليبايعوه ، فامتنعوا وقالوا : لا نبايع حتى تجتمع الأمة ، فأكثر ابن الزبير الوقيعة في ابن الحنفية ، وذمه فأغلظ له ، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار يطلب منه النجدة فأرسل المختار جيشا كبيرا (كالسيل حتى يحل بابن الكاهلية[23] الويل)[24] ولما مات المختار وآلت الكوفة لابن الزبير عرض عبد الملك بن مروان على محمد بن الحنفية أن ينزل إلى الشام ، ثم تراجع عن عرضه . فعاد محمد وأصحابه إلى مكة ، فأرسل إليه ابن الزبير يأمره بالرحيل ، وطلب من أخيه مصعب أن يسير نساء من مع ابن الحنفية فسير نساء منهن امرأة أبي الطفيل عامر بن واثلة وابنا صغيرا له كان معها يقال له يحيى . فقال أبو الطفيل :

إنْ يَكُ سيرها مصعب فإني إلى مصعب مذنب
أقود الكتيبة مستلئما كأني أخو عرّة أجرب[25]
علي دلاص[26] تخيرتها و في الكف ذو رونق مقضب[27]

و لما رجع محمد ابن الحنفية من الشام حبسه ابن الزبير في سجن عارم فخرج إليه جيشٌ من الكوفة عليهم أبو الطفيل عامر بن واثلة حتى أتوا سجن عارم فكسروه وأخرجوه[28].

كل هذه الأحداث تعرفنا بأن شاعرنا كان من القادة الأشداء يصدرونه للمواقف الصعبة و قد كان يثبت جدارته في تلك الأحداث، وكانت له الكلمة الحاسمة والفعل المشهود له من الأعداء قبل الأصدقاء.

"القصائد والقطع الشعرية التي قالها مرتبة حسب القافية"

قافيـة البـاء

– قطعة رقم 1–

1. إن يك سيرها مصعب فإني لي مصعب مذنب
2. أقود الكتيبة مستلئما كأني أخو عرّة أجرب
3. علي دلاص تخيرتها و في الكف ذو رونق مقضب

أ. المناسبة:

قال أبو الطفيل هذه القطعة عندما كان محمد بن الحنفية ومن معه من أهل الكوفة ومنهم أبو الطفيل، وطلب منهم ابن الزبير أن يبايعوه فامتنعوا، فأكثر ابن الزبير الوقيعة في ابن الحنفية ومن معه حتى عادوا إلى مكة فأرسل عبد الله بن الزبير إلى أخيه مصعب أن يُسيّر نساء من مع إبن الحنفية ، فسيّر نساءً منهن امرأة أبي الطفيل عامر بن واثله، و ابنا صغيراً له معها يقال له يحيى فقال أبو الطفيل هذه الأبيات :

ب. التوثيق :

ورد في الكامل جـ3 ص 375 البيتان الأول والثاني وفيه إن الأبيات منسوبة لأبنه الطفيل وهو خطأ ، وأنظر الأغاني جـ 15 ص 117 زاد الأغاني البيت الثالث وزاد في الخبر أن أبنه يحيى كان مع أمه .

جـ. الشرح:

مستلئماً : لابساً اللأمة وهي الدرع.

العِرّةُ : نوع من انواع الجرب المعدي.

الدلاص : الدرع اللينة الملساء.

المقضب: السيف القاطع.

يقول الشاعر إن كان مصعب قد سير زوجته مع من سيرهن فإني مدين له بعمله هذا ، ثم يفتخر بنفسه بأنه قائد مستعد للمواجهة متفرداً في القيادة لا أحد يجرؤ على منافسته أو الاقتراب منه كمن هو أجرب يعدي الآخرين ، إضافة إلى قوله بأنه كان يحرص على اختيار ملابسه العسكرية ودروعه بنفسه ، وكذلك سيفه البتار بكفه.

- قطعة رقم 2-

قال أبو الطفيل في رثاء أبنه طفيل:

1. خلّى طفيلٌ عليّ الهّم وانشعبا وهدّ ذلك رُكنّي هدّه عجبا
2. وابني سُمَيّة لا أنساهما أبدا فيمن نسبتُ وكلٌ كان لي وصبا
3. مهما نسبتُ فلا أنساه إذ حدّقت به الأسنةُ مقتولا و منسلبا
4. وأخطأنني المنأيا لا تطالعني حتى كبرتُ ، ولم يتركن لي نشبا
5. وكنتُ بعد طفيل كالتي نضبت عنه السيول وغاض الماءُ و انصبا
6. فاملك عزاءَك إن رزءٌ بليت به فلم يردّ بكاءُ المرء ما ذهبا
7. وليس يشفي حزيناً من تذكرّه إلا البكاء إذا ما ناح وانتحبا
8. فإن سلكت سبيلا كنت سالكها ولا محالة إن يأتي الذي كُتبا
9. فما لفظتك من ريّ ومن شبعٍ ولا ظللتُ بما في العيش مرتغبا

أ– المناسبة:

قال أبو الطفيل هذه الأبيات في رثاء أبنه الطفيل الذي قضى شهيداً في معركة الزاوية سنة 82هـ ، حيث كان جندياً في جيش أبن الأشعث ضد جيش الحجاج بن يوسف الثقفي.

ب– التوثيق:

أورد صاحب الأغاني في جـ5 ص119 الأبيات التالية : 9،8،7،6،5،2،1

وأورد أبن الأثير في الكامل جـ 4 ص 78 الأبيات التالية: 5،4،3،1

و في كتاب بين الوفاء والفداء ص 102 أورد الأبيات التالية: 8،1،4،5،6،7

ج. الشرح:

بدأ الشاعر قصيدته بتصوير تلك الفاجعة التي ألمت به، وورثته الهموم والأحزان التي هدّت وقوضت ما بقي من أركانه ، ثم ينقل إلينا ذلك المشهد الذي لا يمكنه أن ينساه كغيره من المشاهد الإنسانية في حياته ، وذلك عندما أحاطت الرماح والأسنة بابنه من كل جانب ولم تتركه إلا بعد أن سلبته الحياة.

ثم يصف لنا حاله بعد تلك المأساة كيف أصبح كالأرض المجدبة التي غابت عنها المياه وقاطعتها ، ثم ينتقل بعد ذلك محاولاً أن يُعزي نفسه ويواسيها ، بعد هذا البلاء الذي أصابه ، فالبكاء لا يرد حبيباً ، ومع ذلك لم يجد بداً من البكاء والنحيب كلما تذكر فقيده ، ثم ينتقل ليخاطب أبنه الشهيد بشعر فيه ايمان بالقضاء والقدر والتسليم بما كتبه الله ، واعلم يا بني إنني ما تخليت عنك بإرادتي واعلم بأن حياتي من بعدك اصبحت غير راغب فيها.

– قطعة رقم 3–

قال أبو الطفيل :

1. وقلنا عليّ لنا والدٌ و نحن له طاعةٌ كالولد

أ– المناسبة :

قال هذا البيت معلنا ولاءه للإمام علي هو وأبناء جلدته وأتباع مذهب الشيعة فهم مخلصون له ومنفذون لأوامره .

ب. التوثيق:

أنظر كتاب بين الوفاء والفداء ص100

ج. الشرح

كان أبو الطفيل محباً للإمام علي،فهو في منزلة الوالد الذي أطاعه أوامره ،فهو والدٌ ونحن في تنفيذ أوامره كالأولاد له.

– قطعة رقم 4–

قال أبو الطفيل:

1. حامت كِنانةُ في حربها و حامت تميم، و حامت أسد
2. وحامت هوازن يوم اللقا فما خام منا ، و منهم أحد
3. لقينا الفوارس يوم الخميس والعيد ، والسبت ، والأحد

4. لقينا قبائل أنسابهم إلى حضرموت، وأهل الجند
5. فأمدادهم خلف آذانهم وليس لنا من سوانا أحد
6. فلمّا تنادوا بآبائهم دعونا معداً ، ونعم المعد
7. فظلنا نفلقُ هاماتهم و لم نك فيها ببيض البلد
8. ونعِم الفوارس يوم اللقاء فقلّ في عديد ، وقلّ في عدد
9. وقلّ في طِعانٍ كفرغ الدّلاء و ضرب عظيم ،كنار الوقد
10. لكن عصفنا بهم عصفةً و في الحرب ، يُمنٌ وفيها نكد
11. طحنا الفوارس وسط العجاج وسُقنا الزعانف سوق النقد

أ– المناسبة :

تعدّ هذه القصيدة من الشعر الحماسي وقال هذه القصيدة يصور ذلك الائتلاف والتلاحم بين قبيلة الشاعر كنانة وقبيلة تميم ، وقبيلة أسد ، وقبيلة هوازن ضد قبائل الجنوب من حضرموت وأهل اليمن.

ب– التوثيق:

وردت القصيدة في شرح نهج البلاغة جـ 2 ص 252 – 254

وكذلك في بين الوفاء والفداء ص 99-100

ج. شرح القصيدة:

حامت: أي جالت وكرّت وفرّت

خام: جبُن ونكص

أهل الجند : هي ولاية بأرض اليمن

بيض البلد: بيض النعامة ، ويضرب بها المثل ويقال: "أذل من بيضة البلد "[29]

فَرَغ الدلاء: بفتحتين ، جمع فراغ وهو مصب الدلو

الوقد: الحطب

العجاج: غبار المعركة

الزعانف: الجماعات

النقد: جنس من الغنم قصار الأرجل ، قباحُ الوجوه يكون في البحرين ويمتاز بجودة صوفه ، ويضرب به المثل فيقال: "أذل من النقد"[30].

فقد استطاع الشاعر أن يصف لنا تلك المعركة التي دارت بين قبيلة كنانة ، وقبيلة تميم ، وأسد ، وهوازن ، من جهة.

و قبائل من جهة الجنوب في حضرموت ، واليمن ، فوصف الشاعر لنا سير المعركة ، ومن شارك فيها من القبائل وضد من كانت ، فذكر القبائل وأنسابها من الطرفين ، دون أن يغفل مكان المعركة وزمانها وعدد أيامها ، ثم يتطرق إلى عدم التكافؤ بين الطرفين حيث كان الأعداء يتفوقون عليهم عدداً وعُدة ، وكيف بدأت المعركة بأن تنادى كل فريق بآبائهم وأجدادهم ، واستمرت المعركة أربعة أيام حيث بدأت يوم الخميس، وانتهت يوم الأحد ، وكان النصر حليف شاعرنا منذ اليوم الأول ، فقد كان القتل والتشريد مصير الأعداء، ومن بقى منهم حيّاً وقع في الأسر وصار ذليلاً مهانا يُضرب به المثل.

– قطعة رقم 5–

قال أبو الطفيل:

1. ولما رأيت الباب قد حيل دونه تكسرت باسم الله فيمن تكسرا[31]

أ– المناسبة:

قال أبو الطفيل هذا البيت عندما كان مع المختار في القصر ولما حوصر رمى المختار بنفسه قبل أن يؤخذ أسيراً.

ب– الشرح :

يقول عندما رأيت باب القصر محاصراً ، وحيل بين المختار والخروج منه رمى بنفسه فتألمت كثيراً لما حصل له ، وكأن المصيبة قد حلّت بي.

– قطعة رقم 6 –

قال أبو الطفيل :

1. أيدعونني شيخاً وقد عِشتُ حقبة وهنّ من الأزواج نحوي نوازع
2. وما شاب رأسي من سنين تتابعت عليّ ولكن شيبتني الوقائع

أ– المناسبة:

قال هذه الأبيات مفتخراً بنفسه ، ويرد على من ينادونه بالشيخ فإنه ما زال شاباً والنساء تقبل عليه.

ب– التخريج:

أنظر الأبيات في جـ 4 ص117، والأغاني جـ15 ص113.

و في الأغاني " شيّبته الوقائع" بدلاً من " شيبتني "

ج. الشرح:

يرد الشاعر على من ينادونه بأنه شيخ اصابة الهرم ، وعلى الرغم من إنني عشت فترة طويلة من الزمن ومع ذلك أن الأزواج ينازعنني وأما الشيب في رأسي ليس بسبب طول العمر والهرم ولكن شيب الرأس راجع إلى تلك الوقائع والحروب التي هي السبب في الشيب.

– قطعة رقم 7 –

قال أبو الطفيل:

1. قد ضاربت في حربها كنانة و الله يجزيها به جنانه
2. من أفرغ الصبر عليه زانه أو غلب الجبن عليه شانه
3. أو كفر الله، فقد أهانه غدا يعض من عصى بنانه

أ– المناسبة:

قال هذه القطعة ليحث قبيلته كنانة على الصبر والثبات في ميدان المعركة ، وذلك من باب الشعر الحماسي .

ب– التخريج:

أنظر الأبيات في شرح نهج البلاغة جـ2، ص 252 ، وانظر بين الوفاء والفداء ص98.

ج. الشرح:

يشيد الشاعر بأفراد قبيلته بأنهم ثبتوا وجاهدوا في سبيل الله فجزاؤهم عند الله هو الجنة . فمن صبر على أهوال تلك المعارك فالصبر والنصر يزينان صاحبهما أما من كان الجبن من صفاته فهذا شيء مشين له . والذي يكفر بالله سيهينه الله ويذله ولا بد أنه سيعض أصابعه ندما على كفره .

– قطعة رقم 8 –

قال أبو الطفيل:

1. لا در در الليالي كيف تضحكنا منها خطوب أعاجيب وتبكينا
2. ومثل ما تحدث الأيام من غير يا ابن الزبير عن الدنيا تسلينا
3. كنا نجيء ابن عباس فيقبسنا علما، ويكسبنا أجرا و يهدينا
4. ولا يزال عبيد الله مترعة جفانة مطعما ضيفا و مسكينا
5. فالبر، والدين والدنيا بدارهما ننال منها الذي نبغي إذا شينا
6. إن النبي هو النور الذي كشفت به عمايات باقينا و ماضينا
7. ورهطه عصمة في ديننا و لهم فضل علينا وحق واجب فينا
8. ولست–فأعلمه– أولى منهم رحما يا ابن الزبير ولا أولى به دينا

9. ففيم تمنعهم منا وتمنعنا منهم ، وتؤذيهم فينا و تؤذينا

10. لن يؤتي الله من أجرى ببغضهم في الدين عزا ولا في الأرض تمكينا

أ– المناسبة:

قال أبو الطفيل هذه القصيدة ردا على ابن الزبير ودفاعا عن ابني عباس . حيث قام بعض الوشاة بأخبار ابن الزبير بأن أهل العراق يجتمعون في دار ابن عباس . فأرسل صاحب شرطته بأمر ابن عباس وأخوه بتفريق الناس عنهما .

ب– التوثيق:

انظر القصيدة في الأغاني جـ15، ص 118.

ج. الشرح:

الدر : هو الخير.

مترعة : مشغولة .

جفانة : جمع جفنة وهو وعاء يطبخ فيه الطعام .

ففي هذه القصيدة يرد أبو الطفيل على ابن الزبير بأسلوب فيه تهكم واستهزاء ، لأنه كان متسرعا في إصدار حكمه الذي بناه على وشاية نقلها ابن صفوان إلى أسماعة دون أن يتحقق من تلك الوشاية وحظها من الكذب أو الصدق ، وذلك بإرساله صاحب شرطته إلى ابني عباس ليمنعا أهل العراق من التجمع في دارهما ، وكأنهما أصحاب الأمر وولاته ، فالتحريض ، والاستفزاز لابن الزبير من الواشي الذي قال له : فلم يبقيا لك شيئا ، وأنت صاحب الولاية والسلطان ، مما أوغر صدره ، وأثار حفيظته عليهما – دون تحري الحقيقة – مما جعله ينفعل بسرعة ، ويتفاعل مع تلك الوشاية على الفور بإرسال صاحب شرطته إلى ابني عباس مستخدما أسلوب التهديد والوعيد .

وكان رد ابن عباس عليه حاسما معللا سبب اجتماع الناس في دارهما عندما قال : " والله لا يأتينا من الناس غير رجلين طالب فقه أو طالب فضل " . وكذلك كان رد أبي الطفيل على ابن الزبير حاسما عندما فند مزاعم ابن الزبير وابن صفوان ، فاستهل قصيدته بأن الدنيا فيها الكثير من الأمور التي تضحك وتبكي ، وما أقدمت عليه يا ابن الزبير من الأمور العجيبة الغريبة . ثم يذكر فضل عبد الله بن عباس الذي يجتمع إليه الناس لينهلوا من علمه يفقههم بأمور دينهم ، ويعلمهم الابتعاد عن المعاصي ، فعمله هذا فيه خير يثاب عليه ولا يعاقب ، وأما أخوه عبيد فهو صاحب فضل على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فجفانه دائما مشغولة بإعداد الطعام لهم .

فالبر والإحسان ، والعلم والدين كلها صفات حميدة وموجودة في دارهما ، والناس يفدون إليها طلبا لما يفتقرون إليه ، فأي تهديد هذا الذي توجهه لمن يطبقون ما أمر الله به !؟ وأي جريرة أو ذنب ، اقترفوه ؟! وهم الذين يطبقون شرع الله ، وسنة رسوله الكريم الذي كان قدوة للسابقين واللاحقين ، وأولى الناس بالاقتداء به هم صحابته الأبرار ومنهم ابن عباس وأخوه. فحقهم علينا واجب ، وأنت يا ابن الزبير لست أولى منهما ولا أقرب رحما من رسول الله. ويختم قصيدته بذلك الاستفهام الاستنكاري الذي يحمل في طياته التأنيب والتقريع والتوبيخ ،ثم الدعاء على كل من

أبغضهم ، وحقد عليهم بالذل والهوان في الدنيا والآخرة. بهذا الأسلوب القوي الرصين استطاع شاعرنا أن يدافع عن الحق ضد الظلم مستخدما ما وهبه الله من حضور بديهته ، وقوة حجته في قول كلمة الحق ، والوقوف ضد الشامتين والحاقدين والواشين بالحجة والبرهان حيث صاغ هذه القصيدة بكل صدق وواقعية مستخدما الصور البلاغية المتنوعة ، والمطعمة بالمحسنات البديعة من طباق ايجابي بين تضحكنا ، وتبكينا واستعارة مكنية في البيت الأول . عندما جعل الخطوب تضحك ، وكذلك الجناس التام في البيت الثالث .

دون أن ينسى استحضار معاني من سبقوه في مدح النبي الكريم وصحابته فاستخدام التشبيه البليغ في قوله : إن النبي هو النور ....

تماما كما فعل كعب بن زهير عندما قال : إن الرسول لنور يستضاء به ....

وكذلك عندما قال : في وصف صحابة النبي . في رهطه .

وكعب بن زهير قال : في عصبة من قريش .... الخ

ثم الاستفهام الاستنكاري الذي يحمل عتب الغاضب ويؤكد ذلك بالدعاء على كل من يحقد على صحابة رسول الله بعدم التمكين له في الدنيا والآخرة .

كل هذا يجعلنا نتعرف على شخصية هذا الشاعر صاحب العقل الراجح ، وصاحب الكلمة الصادقة التي يقولها في وقتها ومناسبتها ، فلا تأخذه في قول كلمة الحق لومة لائم ، وهي جرأة متناهية نابعة من ثباته على المبدأ ، والإخلاص لمن آمن بهم من آل البيت وصحابة رسول الله . ومقاومة الظلم ، والفتن ، والفساد أيا كان مصدرها وهذا مبدأ أعلن عنه الشاعر حين قال : "إن لنا دينا لا يميل به الهوى ، ويقينا لا تزحمه الشبهة[32].

فالمسلم الصحيح هو الذي لا يجعل دينه خاضعا لهواه ،يقبل عليه متى يشاء ويعرض عنه متى يشاء ، ويستخف به متى يشاء ، ويعتز به متى يشاء . بل المسلم الحقيقي هو صاحب المبدأ الثابت الذي لا يخلطه شبهة ، ولا يزعزعه تردد ، ولا تلحق به ريبة.

– قطعة رقم9–

قال ابو الطفيل:

1. إلى رجب السبعين تعترفونني مع السيف في حواء جم عديدها
2. رجوف كمتن الطود فيها معاشر كغلب السباع ، نمرها و أسودها
3. كهول ، وشبان ، وسادات معشر على الخيل ، فرسان قليل صدودها
4. كأن شعاع الشمس تحت لوائها إذا طلعت أعشى العيون حديدها
5. يمورون مور الريح إما ذهلتم وزلت بأكفال الرحال لبودها
6. شعارهم سيما النبي وراية بها انتقم الرحمن ، ممن يكيدها

7. تخطفهم إياكم عند ذكرهم كخطف ضواري الطير صيدا تصيدها[33]

أ– المناسبة:

يصف الشاعر جيشا كثيف العدد ،كان شاعرنا قائدا لهذا الجيش .

ب– التوثيق:

أنظر الأغاني جـ15، ص 116.

ج. الشرح:

الحواء : صفة من الحوة ، وهي حمرة إلى السواد ، ويريد هنا أن يصف جيشا كثيف العدد.

رجوف : من الرجف وهو التحرك والاهتزاز ، وبعضهم قال : هي تصحيف زحوف. من الزحف

المتن : الظهر

الطود: الجبل العظيم .

يمورون: يموجون ويتحركون بسرعة .

يصف الشاعر في هذه الأبيات نفسه ضمن ذلك الجيش الكثير العدد وهو بصحبة سيفه القاطع ، وكيف شبه الجيش بالثبات والثقل ولا أحد يزحزحه بالجبل العظيم ، بما يضم من الجنود الشجعان الذين يشبهون السباع والأسود والنمور وكلّها من الحيوانات القوية التي يضرب بها المثل في الشجاعة والإقدام عندما تنقض على فريستها .

ثم ينتقل إلى وصف مكونات ذلك الجيش حيث يضم الكبار في السن والشباب والسادة في القوم وهم يعلون جيادهم ، ويغيرون على أعدائهم بسرعة فائقة ، ويوقعون فيهم القتل والتشتيت ، ولا أحد يستطيع أن يصدهم عن تحقيق أهدافهم أو أن يقف نداً لهم .

وهم لكثرتهم فإن أشعة الشمس التي تنعكس عن نصال سيوفهم تصيب العيون بالضعف والعشو وهذا كناية عن الكثرة.

كذلك يشبه حركة الجيش وسرعته بالريح متخذين صورة النبي ورايته التي يجب أن تظل مرفوعة مثالاً يُحتذى به وشعاراً لهم فكل من حاول أن يكيد لها انتقم الله منه وخذله .

ويصف الشاعر كيف كانوا ينقضون على أعدائهم ويتخطفونهم بسيوفهم كما تنقض الطيور الكاسرة على فريستها . فقد استطاع أن يستخدم الصور البلاغية بكل سهولة و اقتدار فنراه أكثر من التشبيهات كقوله: رجوف كمتن

لطود و معاشر كغلب السباع ، ويمورون مور الريح . وتخطفهم إياكم كخطف ضواري الطير... الخ فهذه صور بلاغية جميلة أضفت على النص بهاءً ورونقا.

الأغراض الشعرية التي قال فيها

لقد قال شاعرنا في أغلب الأغراض الشعرية، كالحماسة والوصف ، والفخر والرثاء ، وغيرها ، ونظراً للمهنة التي ارتضاها لنفسه، وهي أن يكون جندياً وقائداً ميدانياً وذلك بحكم الظروف السياسية التي كانت سائدة آنذاك، وانتشار الأحزاب السياسية والدينية ، وشيوع الفتن والمفاسد ، والظلم الذي كان نتيجة حتمية لتلك الاضطرابات والصراعات الحزبية ، حيث يحاول كل حزب أن يفرض آراءه على الآخرين .

وشاعرنا كغيره من أبناء الأمة الإسلامية وجد نفسه في بيئة متصارعة فانضم إلى حزب سيدنا علي فكان شيعياً مخلصاً لآل البيت ، ومع ذلك كان يحفظ حرمة الباقين من خلفاء الرسول الراشدين ، فكان يثني على أبي بكر ، وعمر ، ويترحم على عثمان[34].

، فكان شيعياًً معتدلاً ، لا يرتضي تصدعاً ولا تفرقاً بين أبناء الأمة الموحدة ، "وكان يجاهد مع الامام علي وشهد معه حروبه كلها"[35] فكان قائداً شجاعاً شهدت له الوقائع بالثبات والصمود ، وكان سيداً في قبيلته كنانة ، فهو المثل الأعلى لجنوده فكان يقول الشعر الحماسي يحث أبناء قبليته على الصمود والثبات .

1. الشعر الحماسي:

فقد كان رجلاً من أشراف قبيلته كنانة ، وكان قائداً وحاملاً لواءها في الحروب فلابدّ من حثهم على الصبر والمجالده حتى يتحقق لهم النصر على الأعداء فنراه يقول:

قد ضاربت في حربها كنانة و الله يجزيها به جِنانه
من افرغ الصبر عليه زانه أو غلب الجُبن عليه شانه
أو كفر الله ، فقد أهانه غدا يعض من عصى بنانه

فكان يحث أبناء قبيلته على الثبات وعدم الجبن والفرار ، ويقول لهم "طاعنوا وضاربوا" فهذا الموقف الحماسي حرَض آخرين من المجاهدين ليحذو حذوه ، ويسيروا على نفس الطريق.

فيقوم عمير بن عطارد الذي كان يحمل راية بني تميم ويقول: ياقوم ، إني اتبع آثار أبي الطفيل ، فاتبعوا آثار كِنانة فيتقدم برايته ويرتجز فيقول:

قد ضاربت في حربها تميم إنّ تميماً خطبها عظيم
لها حديث و لها قديم إنّ الكريم نسله كريم
دين قويم ، و هوى سليم إن لم تردهم رايتي فلوموا

و بعد عامر وعمير يأتي قبيصة بن جابر الأسدي يقود جماعة من بني أسد ويقول لأصحابه: يا بني أسد ، أما أنا فلا أقصر دون صاحبي ويتقدم برايته ويقول:

قد حافظت في حربها بنو أسد ما مثلها تحت العجاج من أحد

أقرب من يمن ، وأنأى من نكد كأننا ركنا ثبير أو أحد[36]

لسنا بأوباش بيض البلد لكننا المحة من ولد معد[37]

هكذا انطلق أبو الطفيل وأصحابه ومن معهم من المجاهدين رفقاء النضال ببسالة وثبات لا نضير له ، الأمر الذي نتج عنه إلحاق الهزيمة بالأعداء والإبقاء على راية النصر مرفوعة ، وقد استطاع ابو الطفيل أن يصور لنا ذلك الائتلاف والتلاحم الذي تم بين أخوة السلاح الذين صنعوا النصر بصبرهم وثباتهم ، وقد كانت القصيدة التي أثبتناها في القطعة رقم "7".

والتي مطلعها :**قد ضاربت في حربها كنانة**... الخ

فهذه الأبيات الثلاثة على قلة عددها ألا أنها تحمل معان كثيرة فهو يحمس أبناء قبيلته كنانة ويحثهم على الصبر والثبات ويطمئن جنوده بأن مصير المجاهد إذا وقع شهيداً فان مصيره الجنة .

وأما الجبان الذي يفر من المعركة فإن الجبن يشينه ، فنرى الشاعر في هذه الأبيات يستخدم المحسنات البديعية كالطباق بين زانه ، وشانه.

ونراه يستلهم معنى الآية القرآنية في البيت الثاني " من أفرغ الصبر عليه زانه " فهي مستوحاة من قوله تعالى: " ربنا أفرغ علينا صبرا "[38].

وكذلك يستخدم الكناية في قوله في البيت الثالث " غدا يعض من عصى بنانه " وهي كناية عن الندم هذا بالنسبة للقطعة الحماسية رقم "7"

أما بالنسبة للقطعة الحماسية الثانية فهي القطعة رقم "4".

فهذه القصيدة على قلة عدد أبياتها إلا أن الشاعر استطاع أن يستخدم فيها أكثر من غرض ، فهي قصيدة حماسية ، ووصفية وفيها فخر..

فقد استطاع الشاعر أن يصور أجواء المعركة بدقة متناهية ، وواقعية صادقة لا مبالغة فيها ولا خيال ، وكان ينتقل من غرض إلى آخر بسلاسة لا يشعر بها القارئ ، مستخدماً الصور البلاغية من تشبيهات واستعارات ، وكنايات ، ومحسنات بديعية ، وحكم وأمثال ، دون أن يهمل معجمه الجغرافي في تحديد المواقع التي دارت فيها المعركة ، وكذلك تحديد الزمان ، فقد كان مبدعاً في صياغة قصيدته.

2. الرثـاء:

هو المدح للميت والثناء عليه ، وهو من أصدق المواضيع التي يقول فيها الشعراء لأنه تعبير صادق عن المشاعر والأحاسيس والوجدان فكيف إذا كان المرثيّ ابنا للراثي ، فلا شك أن يبدع في نقل عواطفه وأحاسيسه ووجدانه ، لا سيما وأن المرثي هو الابن الأكبر للشاعر الذي قضى شهيداً في معركة الزاوية سنة 82 هـ ، حيث كان جندياً في جيش عبد الرحمن بن الأشعث ضد جيش الحجاج بن يوسف الثقفي ، الأمر الذي فجّر عواطف الحزن والأسى في قلب شاعرنا الذي كان شيخاً كبيراً في الثمانين من عمره فاستشهاد الابن زاد في ألم وحزن الشاعر ، وقد عبّر عن هذه الفاجعة الأليمة بقصيدة مثقلة بالعواطف الجياشة ، والمشاعر الحزينة الصادقة وهي القطعة رقم "2".

فقد بدأ الشاعر قصيدته مصوراً تلك الفاجعة التي ألمت به وهي فقدان ابنه وصوّر لنا ذلك المشهد الأليم عندما حدّقت به الأسنة وتركته مقتولاً ، ومن الصور البلاغية المؤثرة حيث يشبه نفسه بعد فقد ولده بالأرض التي غابت عنها السيول والمياه فهي قاحلة جرداء لا حياة فيها .

كذلك يستخدم الاستعارة المكنية في قوله " وأخطأتني المنايا " فقد شبه الموت بصائد يرمي سهامه على الشاعر ، وفيها كناية عن البقاء حياً وقد بلغ من العمر مبلغا.

ثم نراه يتمالك نفسه ويحاول أن يصبّرها على استيعاب تلك الفاجعة التي ابتلاه الله بها ، وهي قدر لا مفر منه ، فالبكاء والنحيب لا يرد ميتاً إلى الحياة ، وكأني بالشاعر يستحضر قول المولى عز وجل: " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون"[39].

ربه معلناً عجزه أمام إرادة ربه ، وفي الوقت نفسه يعزي نفسه ويصبّرها بإبداء الحزن والأسى على فراق فلذة كبده ، وقد كان له في رسول الله أسوة حسنة عندما بكى على فراق ابنه إبراهيم حيث قال :" إنّ العين لتدمع ، وإنّ القلب ليحزن وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزنون" فالحزين لا يُشفي غليله إلا البكاء على الأحبة .

إضافة إلى ذلك استطاع الشاعر أن يُجسّد لنا حجم المأساة بأسلوب بلاغي جميل مما أضفى على النص رونقاً وبهاء ، وذلك باستخدامه الالتفات فبعد أن كان يصف لنا صورة الفراق وما لحق به ينتقل ليخاطب نفسه عندما قال:

فآملك عزاؤك إن رزء بليت به... الخ

وبعد ذلك ينتقل بسلاسة موجها الخطاب لأبنه حيث يقول:

فإن سلكت سبيلاً كنت سالكها و لا محالة أن يأتي الذي كُتِبا

فهو يعزي نفسه لأن طريق الجهاد الذي سلكته نتيجته معروفة مسبقاً ، أما أن تنتصر وتعيش سعيداً ، وأما أن تموت شهيداً بإرادة الله وقدره وقضائه ولا راد لقضائه ، وهذا الإيمان يتجلى واضحاً في تكوين شخصية الشاعر المؤمن.

3. الوصف:

كما قلنا من قبل إن الشاعر لم يقصر كل قصيدة على غرض واحد بل نراه يقيم القصيدة أو القطعة على أكثر من غرض فهو يصف ويفتخر ويمدح ، وخير ما يمثل غرض الوصف في شعر أبي الطفيل القطعة رقم" 9".
وقد قمنا بشرحها والتعليق عليها في الصفحات السابقة ، فهو يصف لنا جيشه العظيم الذي شبهه بالجبل الضخم لكثرة عدد أفراده ، ثم يصف مكونات ذلك الجيش ، حيث يضم مختلف فئات الشعب ، وهم كالأسود والنمور في شجاعتهم وإقدامهم.

4. المدح والثناء:

إن غرض المدح الذي قال فيه صاحبنا ليس كغيره من الشعراء المداحين الذين يبنون مدائحهم على الكذب، والنفاق ،من أجل التكسب ، ونيل الأُعطيات أو من أجل اتقاء شرّ السلطان وكسب رضاه، وهذا اللّون من المدح كان سائداً عند أغلب شعراء الشيعة الذين يميلون استخدام مبدأ "التقية" وهي ضرب من النفاق، و الكذب، و التملق، وشاعرنا لم يكن من هذا الصنف ولا ذاك، لأن شخصيته –وما بنيت عليه من الإيمان بالله والثبات على المبدأ، والجرأة في إحقاق الحق، والابتعاد عن الباطل – تجعله يختلف عن غيره، فمدح شاعرنا كان صادقاً لا يمدح الرجل إلا بما فيه من صفات تؤهله لأن يوجه إليه المدح و الثناء، ومثالاً للمدح الصادق الذي قال فيه أبو الطفيل تلك القصيدة التي قالها في مدح عبد الله بن عباس وأخوه وهي القطعة رقم "8" وقد قمنا بشرحها والتعليق عليها .

5. الغزل:

إن هذا الغرض يكاد يكون معدوماً عند شاعرنا ، فلم يؤثر عنه أنه قال قصيدة في امرأة وقع في حبها ، أو كانت له علاقة بها ، إلا من اقترن بهن بطريقة شرعية ، حيث يصف علاقته الودودة بهنّ فيقول:

أيدعونني شيخاً و قد عشت حقبة و هن من الأزواج نحوي نوازع
و ما شاب رأسي من سنين تتابعت عليّ ولكن شيبتني الوقائع(40)

ولعّل طبيعة الشاعر الذي قضى كل فترات حياته يعمل فارساً مناضلاً في ساحات الوغى ، وما دار فيها من وقائع وأهوال شيبت رأسه ، استنفذت كل وقته فلم يكن لديه متسع من الوقت الذي يخلو بنفسه ، ويعبر عن مشاعره وعواطفه ووجدانه اتجاه المرأة ، فكان همه منصبا على التخطيط للمعارك وقيادة الجيوش ، حاملاً سيفه ولابساً درعه ، يتقدم الصفوف ويقاتل الأعداء ، ويصول ويجول ، بين جثث القتلى المتناثرة من حوله.

فكيف له أن يسرق بعض اللحظات ليصور علاقة غرامية بينه وبين إمرأة.
و رأسه مليئة بالمشاهد والصور التي تقشعر لها الأبدان وتشيب لها الرؤوس .

6. الفخـر :

لاشك في أن طبيعة تكوين الشاعر ، ومهنته التي ارتضاها كمجاهد وفارس شجاع، تجعله يقول في غرض الفخر الذي وجدناه مبثوثاً في كل الأغراض التي قال فيها كالحماسة ، والوصف ، والرثاء ، والمديح وغيرها فلم يخصص قصيدة للفخر-باستثناء بعض الأبيات التي يفخر بنفسه ومدى جاهزيته للقتال ، فنراه يقول:

أقـود الكتيبة مستلئماً كأني أحو عُرة أجربُ[41]

علـيّ دلاصٌ تخيرتها وفي الكف ذو رونق مِقضبُ[42]

فهنا نرى الشاعر يفتخر بنفسه كقائد متفرد مستخدماً الكناية للدلالة على ذلك التفرد، ويفخر باستعداده الدائم للمنازلة والقتال حيث يلبس درعه ويحمل سيفه .

وكذلك نراه يفتخر بأفراد جيشه في قصيدته الحماسية التي اثبتناها ويقول:

فظلنا نفلق هاماتهم و لم نك فيها ببيض البلد

و نعم الفوارس يوم اللقاء فقلّ في عديد وقلّ في عدد

طعنا الفوارس وسط العجاج وسقنا الزعانف سوق النقد

وكذلك في قصيدته التي قالها في غرض الوصف يقول مفتخراً بنفسه كقائد وبجيشه العظيم الذي يحقق الانتصارات ويلحق الهزائم بالأعداء .

إلى رجب السبعين تعترفونني مع السيف في حواء جمٌ عديدها

رجوف كمتن الطود فيها معاشر كغلب السباع ، نمرها واسودها

كهولٌ وشبان، وسادات معشر على الخيل فرسان قليل صدودها

تخطفهم إياكم عند ذكرهم كخطف ضواري الطير صيداً تصيدها

فهو يفخر بنفسه كقائد لهذا لجيش الجرار الذي يضم كل فئات المجتمع من كهول وشبان وسادات من جميع المستويات والأعمار يندفعون للجهاد بكل عزيمة وإصرار على خيولهم التي لا يقف أمامهم الأعداء ولا يصدونهم ، ويقول بعزة وافتخار إن جنوده ينقضون على الأعداء كما تنقض الطيور الكاسرة على فرائسها .

7. الحكمة :

إن شعر الحكمة يكاد يكون مبثوثاً في كل أغراضه الشعرية ولا عجب في ذلك وهو صاحب الخبرة الطويلة في فنون القتال التي عركته وجعلته رجلاً حكيماً واعظاً لغيره، فنراه يقول في القصيدة التي رثى بها ابنه:

فاملك عزاءك إن رُزءٌ بُليت به فلن يرد بكاء المرء ما ذهبا

وليس يُشفي حزيناً من تذكرّه إلا البكاء إذا ما ناح وانتحبا

فإن سلكت سبيلا كنت سالكها ولا محالة أن يأتي الذي كتبا[43]

نعم إن البكاء لا يرد ميتا ، وكذلك إن المكتوب على الإنسان لا يد ملاقيه.

و لما كان أبو الطفيل مع المختار في القصر رمى المختار بنفسه قبل أن يؤخذ فقال أبو الطفيل:

و لما رأيت الباب قد حيل دونه تكسّرت باسم الله فيمن تكسرا[44]

كذلك نجد الحكمة والمثل جلية في أبياته الحماسية التي قالها في قبيلته كِنانة

من أفرغ الصبر عليه زانه أو غلب الجُبن عليه شانه

أو كفر الله فقد أهانه غدا يعضُ من عصى بنانه

فهذه الابيات نابعة من تكوين شخصيته الدينية فهي على وجازتها تحمل مواعظ وحكم كثيرة مستوحاة من محفوظه القرآني، صاغها باسلوب فيه الترغيب والترهيب فمن أفرغ الله عليه الصبر والثبات على مجالدة الأعداء فقد فاز بالجنة، وقام بعمل يزيّن سيرته، وفي المقابل إن الجبن والفرار يشين صاحبه ومن يكفر بالله فمصيره الذل والهوان وسوف يعض أصابعه ندماً على كفره وعصيانه لأمر الله فاسلوب الكناية واستخدامه للتقديم والتأخير في الشطر الثاني من البيت الثاني دليل على حُسن الصياغة والإبداع.

السمات العامة لشعر الشاعر

من خلال دراستنا للأغراض الشعرية والقصائد التي وقعنا عليها في هذا البحث استطعنا أن نرصد مجموعة من الخصائص والسمات التي ظهرت واضحة جلية في تلك القطع والقصائد التي قالها في مختلف الأغراض الشعرية ومنها:-

1) الواقعية :

لقد امتاز شاعرنا بالصدق والواقعية أثناء صياغة أشعاره وذلك عندما كان يردد الأماكن والمواقع الجغرافية التي دارت فيها الحروب التي خاضها ، وحدد القبائل التي قاتلت معه بأنسابها وأسمائها ، وفي الوقت نفسه أسماء القبائل التي حاربها ، وحددّ زمن المعركة والأيام التي دارت فيها ونقل لنا أحداثها نقلاً واقعياً صادقاً وكأننا أمام شريط سينمائي لا مبالغة في أشعاره ولا خيال ، فيقول:

حامت كِنانة في حربها و حامت تميم ، وحامت أسد
وحامت هوازن يوم اللقا فما خام منا ومنهم أحد
لقينا الفوارس يوم الخميس والعيد والسبت والأحد
لقينا قبائل أنسابهم إلى حضرموت و أهل الجند

2) التأملية:

وتشمل تلك الأشعار التي تحمل خلاصة تجارب الشاعر التي اكتسبها عبر سنوات عمره الطويلة وصاغها بنصائح ، وحكم ومواعظ كانت ضمن مخزونه الشخصي ، وأراد أن يخرجها إلى ذلك الأفق الإنساني الأرحب ، ونلمس ذلك في قصيدته التي قالها في رثاء ولده طفيل:

فاملك عزاءك إن رُزءٌ بُليت به فلم يرد بكاء المرء ما ذهبا
و ليس يُشفي حزينا من تذكره إلا البكاء إذا ما ناح و انتحبا
فأن سلكت سبيلاً كنت سالكها ولا محالة أن يأتي الذي كتبا

من خلال هذه الأبيات التي أفرزتها نفس الشاعر الحزينة ، والمأساة التي هدّت أركانه خرج بنتيجة عزى بها نفسه ، وأخرجها من نطاق نفسه الضيّق إلى نطاق أرحب وأوسع ألا وهو نطاق الإنسانية وكأنه معني بمشاكل الآخرين وحلّها .

3) المادية:

تناول الشاعر الجانب المادي من الحياة ، فهو يفاخر ويعتز بجنوده الذين امتازوا بالشجاعة والإقدام وعدم الجبن والفرار فنرى هذه الصفات حيث يقول:

حامت كِنانة في حربها وحامت تميم ، و حامت أسد
وحامت هوازن يوم اللقا فما خام[45] منا ومنهم أحد

ويتابع مفتخراً بصبر جنوده ومجالدتهم للأعداء فيقول:

فظلنا نفلق هاماتهم ولم نك فيها بيض البلد
ونعم الفوارس يوم اللقاء فقل في عديد وقل في عدد

وفي السياق نفسه يقول في وصف جيشه :

رجوفٌ كمتن الطود فيها معاشر كغُلب السباع نمرها وأسودها
كهولٌ وشبانٌ وسادات معشر على الخيل فرسان قليل صدودها

فهذه الصور المادية الحسية التي جسدها شاعرنا من خلال تشبيهاته عند وصف جيشه المتحرك مثل الجبل العظيم ، ووصف جنوده كغلب السباع والأسود وكذلك عندما شبّه إغارة جنوده وانقضاضهم على الأعداء بسرعة فائقة بصورة ضواري الطير التي تنقض على الفريسة بسرعة لا تمكن الفريسة من الهرب بل تجبرها على الاستسلام ، فهو تشبيه تمثيلي حيث شبه صورة بصورة محسوسه.

4. الكنايات:

لقد كان لها نصيب في شعر شاعرنا حيث نجدها مبثوثه في الأشعار التي أثبتناها ، فنراه يفخر بنفسه ويقول:

أقـود الكتيبة مسلئما كأني أخو عرّة أجـرب

ففي الشطر الثاني كناية عن تفرده بالقيادة ، وأن أحداً لا يجرؤ على الاقتراب منه.

كذلك في قوله:

فظلنا نفلق هاماتهم و لم نك فيها ببيض البلـد

ففي الشطر الثاني كناية عن الذل حيث أن بيض البلد هو بيض النعامة تضعه في الفلاة وتهمله ، ويقال في المثل" أذل من بيضة البلد "

ومثله عندما قال :

طحّنا الفوارس وسط العجاج وسقنا الزعانف سوق النقـد

ففي الشطر الثاني كناية عن الذل ، والنقد هو نوع من الأغنام قصيرة الأقدام ويضرب بها المثل بالذل فيقال: " أذل من النقد "

وفي قوله:

أو كفـر الله فقد أهانه غدا يعض من عصى بنانـه

و الشطر الثاني كناية عن الندم

5. التمثل بأشعار الغير :

وهذا دليل على سعة حفظه من أشعار الغير فكثيراً نراه إذا ما حانت مناسبة يتمثل بشعر يناسبها كما رأيناه عندما سأله معاوية عن مقتل عثمان ، ورد أبو الطفيل السؤال نفسه على معاوية وقال له: لماذا لم تنصره أنت يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه؟!

فقال أبو الطفيل: مثلك ومثل عثمان كما قال الشاعر:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

وكذلك عندما قال أبو الطفيل :" لم يبق من الشيعة غيري "

وتمثل بالبيت التالي:

وخليت سهماً في الكِنانة واحداً سيرمى به أو يكسر السهم كاسره

وكذلك نراه في خطبته الوحيدة التي أوردناها عندما خلع الحجاج ودعى الناس إلى خلعه وقال مثل الحجاج ومثلنا كما قال الأول لأخيه :" إحمل عبدك على الفرس ، فإن هلك هلك ، وإن نجا فلك " .

6. الاقتباس من القرآن الكريم :

وهذا راجع إلى تكوينه الديني حيث كان صحابياً راوياً فقد أورد بعض الاقتباسات وسنشير إليها باختصار كقوله في شعر الحماسة الذي قاله في تحميس قبيلته كِنانة:

من أفرغ الصبر عليه زانه أو غلب الجبن عليه شانه

فقد اقتبس معنى البيت من قوله تعالى: "ربنا أفرغ علينا صبرا"[46]

وكذلك في رد أبي الطفيل على معاوية عندما سأله ،كيف وجدك على خليلك أبي الحسن علي؟

فرد أبو الطفيل : كوجد أم موسى على موسى وإلى الله أشكو التقصير ، فقد اقتبس رده من قوله تعالى:" وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به ، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين"[47].

وكذلك في قوله :

ولا يزال عبيد الله مترعةٌ جفانه مطعماً ضيفاً ومسكنا

فالشطر الثاني مقتبس من قوله تعالى:" والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم"[48].

وفي الشعر الذي قاله في رثاء أبنه الطفيل يقول:

وكنت بعد طفيل كالتي نضبت عنه السيول وغاض الماء وانصببا

فالشطر الثاني مأخوذ من قوله تعالى:

" وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، ويا أسماء أقلعي، وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي ، وقيل بعداً للقوم الظالمين"[49].

الشاعر في الميزان

إن شخصية شاعرنا نابعة من إخلاصه للمبدأ الذي وهب نفسه للدفاع عنه ، فقد عرفناه مناضلاً ومجاهداً وجريئاً في إحقاق الحق ودفع الباطل ، لا يعرف المهادنة ، والمداهنة كغيره من أبناء جلدته ، وأتباع مذهبه من الشيعة الذين كانوا يميلون إلى استخدام مبدأ " التقية " عند الضرورة وبخاصة عند التقائهم بأصحاب الجاه والسلطان ، فيظهرون لهم المودة والاحترام ، ويكنون لهم العداوة والبغضاء ، إما طمعاً في مالهم أو هرباً من عقابهم ، فيكيلون لهم المدائح الكاذبة ، وينعتونهم بأحسن النعوت ، ويتحملون وقاحتهم وتصرفاتهم الفضّة .

لكن شاعرنا ليس من هذا الطراز من الشعراء المنافقين ، فقد كان يكره الظلم والجور والفساد والمفسدين ، ويقف بجانب الحق ضد خصومه من أصحاب السلطان ، وقد أوردنا في ثنايا هذا البحث بعض المواقف الجريئة مع أصحاب النفوذ ، كموقفه مع معاوية الاموي –وكان في الملك آنذاك– عندما استدعاه للحضور إلى الشام ، وقد طرح عليه بعض الأسئلة المحرجة عندما سأله عن حبه وحزنه على مقتل خليله الأمام علي ، وكذلك عند سؤاله عن مقتل عثمان الأموي ، ولماذا لم ينصره ؟ فكان رده شجاعاً وجريئاً على السؤالين بل أحرج معاوية بدلاً من أن يحرجه.

وكذلك موقفه من أبن الزبير وأبني عباس حيث رد علي أبن الزبير رداً صارماً فيه القوة والصلابة والثبات على المبدأ مستخدماً الحجة والبرهان لتدعيم رده.

ولعل تميزه هذا جعله متفرداً عن غيره من الشعراء ، الأمر الذي حبّب فيه خلفاء بني أمية الذين عاصروه ، فكان كل واحد منهم يطمع في أن يقربه إليه ، كما فعل معاوية وغيره ، حيث شهدوا له بالشاعرية والإخلاص لعلي وتمنى معاوية أن يخلص له أصحابه كإخلاصه لصاحبه.

و مثل معاوية يشهد له بالشاعرية بشر بن مروان بن الحكم عندما كان على العراق، قال لأنس بن زنيم أنشدني أفضل شعر قالته كِنانة ، فأنشده قصيدة أبي الطفيل

أيدعونني شيخاً وقد عشت حِقبةً وهنّ من الأزواج نحوي نوازع

قال له بشر:" صدقت هذا أشعر شعرائكم"[50].

وكذلك يُعجب به الحجاج بن يوسف الثقفي ، عندما سأل " أنس بن زنيم " وقال له: أنشدني قول شاعركم أيدعونني شيخاً ... ألخ

فأنشده ، فقال الحجاج: (قاتله الله –منافقاً– ما أشعره)[51].

و قال عنه طويس ، عندما طلب منه القوم أن يغنيهم فقالوا له: " يا أبا عبد المنعم لو غنيتنا، قال نعم اغنيكم بشعر شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن شيعة علي أبن أبي طالب عليه السلام ، وصاحب رايته أدرك الجاهلية والإسلام ، كان سيّد قومه وشاعرهم ، قالوا: ومن ذاك يا أبا عبد المنعم فدتك أنفسنا؟ قال: ذاك أبو الطفيل عامر بن واثلة ثم اندفع يغني أيدعونني شيخاً ... الخ "

ومثل هذا نجد رأي أصحاب معاوية –عمرو بن العاص ومعه نفر– بعد أن أنشد قصيدته التي يقول فيها:

إلى رجب السبعين تعترفونني مع السيف في حواء جمّ عديدها

فبعد أن انتهى من قصيدته سأل معاوية جلساءه اعرفتموه؟

قالوا: نعم ، "هذا أفحش شاعر ، وآلأم جليس"

ولما سأله معاوية: أتعرفهم ؟

فقال: ما أعرفهم لخير ، ولا أبعدهم من شر

نلاحظ كيف كان رد أصحاب معاوية عندما سألهم عنه، فقد كان مليئاً بالحقد والكراهية والبغضاء التي تملأ صدورهم على أبي الطفيل ، لاسيما بعد أن أكمل قصيدته التي يصف فيها أفراد جيشه الذين افتخر بشجاعتهم الأمر الذي أوغر صدورهم ووصفوه بنعوت قالوها من باب الانفعال والتنفيس .

و بالنسبة لرد أبي الطفيل على السؤال نفسه ، فقد كان رداً بيلغاً وموجزاً،فيه الاتزان والحكمة،فهو رد الواثق بنفسه .

و من الذين قالوا رأيهم في أبي الطفيل ما قاله صاحب الاستيعاب بأنه كان شاعراً محسناً وهو القائل : أيدعونني شيخاً وقد عشت حقبة[52] ... إلخ.

و كذلك قال أبن كثير : قال أبو مخنف حدثني مطرف بن عامر بو وأئله الكناني أن أباه كان أول من تكلم في ذلك وكان شاعراً خطيباً[53] ، فقد قال خطبته بمناسبة خلع الحجاج وقد أثبتناها في أول البحث.

و مهما يكن فإن شاعرنا استطاع أن يفرض نفسه في ساحات الوغى كمقاتل ومجاهد شرس وقائد ورائد ، وقدوة لأبناء قبيلته وغيرها من القبائل الأخرى.

فهذه المكانة التي حاز عليها بين أقرانه من المجاهدين أهلته لأن يصبح في نظرقادته رجل المهمات الصعبة , ولا عجب في ذلك بعد أن اكتسب تلك الخبرة الحربية الواسعة من خلال سنوات عمره الطويلة واستطاع أن يورثها لأبنائه وأفراد جيشه .

هذا على الصعيد المهني أما على الصعيد الفكري صاغ تجاربه الشخصية في قصائد شعرية وخطب سياسية ونقلها من عالمه الخاص إلى عالم الإنسانية الأرحب ومن خلالها شهد له الأعداء قبل الأصدقاء كما رأينا ذلك في الصفحات السابقة فهو سيد في عشيرته وقائد ومجاهد عرفته ميادين القتال وشهدت له بالبطولة والشجاعة , وكذلك كان يمتاز بجرأته، وحضور بديهته , وقوة صحته وسرعة إجابته – كما رأيناه في محاورة معاوية – إضافة صبره على الفواجع التي نزلت به , فقد كانت مأساة استشهاد الحسين بن علي، ومن قبله استشهاد الإمام علي وهي في نظر شاعرنا جرائم لا تغتفر ولابد من معاقبة مقترفيها مخرج مطالباً بالثأر لهؤلاء الشهداء أضف إلى ذلك مأساة فقدانه لولده الطفيل الذي قصمت ظهره.

فكانت الفتن والمفاسد السائدة آنذاك لها أثر في تكوين شخصية الشاعر الذي كان صادقاً وجريئا في قول الحق ودفع الظلم.

و امتد العمر بأبي الطفيل حتى أدرك عهد خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه ، فاحسّ شاعرنا أن نسمة من نسمات الخير والعدل تهب على المجتمع الإسلامي، وتمنى منها المزيد.

وعندما أحسّ بأن السنين الطويلة قد أثقلت كاهله ، والمصائب والفواجع قد هدّت أركانه، رأى أنه بحاجة إلى أن يزداد تعبداً وتقربا إلى الله فاتجه إلى مكة وجاور البيت العتيق، ناسكاً متعبداً حتى مات فيها سنة 100 هـ ، فرحم الله هذا الشاعر العظيم واسكنه فسيح جناته.

الهوامش

(1) أنظر ترجمته في الإصابة رقم الترجمة 676 جـ4 ص113 ، الطبقات الكبرى جـ5 ص457 ، الاستيعاب جـ4ص115 ، الكامل /لأبن الأثير جـ4 ص80 ، الوفيات /لأبن قنفذ ص86-87 ، الأغاني / أبو الفرج الأصفهاني جـ5 ص114

انظر اللباب في تهذيب الإنساب جـ 1 ص 52-53 .

(2) الكِناني: بكسر أولها وفتح النون ، وهذه النسبة إلى عدة قبائل ، والتي تخص شاعرنا هي " كِنانة بن خزيمة بن مدركة ، منهم بنو سعد بن ليث ومنهم أبو الطفيل ، أنظر العقد الفريد جـ3 ص113 ، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة /د.عمر رضا كحالة جـ3 ص996 ، اللباب في تهذيب الأنساب/ابن الأثير جـ3 ص 111

(3) أنظر الإصابة جـ4 ص113 ، البداية والنهاية جـ9 ص190

(4) أنظر مقدمة أبن خلدون جـ1 ص380 ، تاريخ أبن خلدون جـ1 ص 558

(5) أنظر تاريخ الرسل والملوك / الطبري جـ1 ص251

(6) مقدمة ابن خلدون جـ1 ص386

(7) قال أبو الطفيل : "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة . فما أنسى بياض وجهه ، مع سواد شعره ، فقلت لأمي : من هذا؟ فقالت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم "

انظر الخبر في الإصابة ص 4 ، ص 450، الأغاني ص 15 ،ص 114

(8)الإصابة ،ص 4، ص116.

(9) اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فمنهم من قال : إنه توفي 100هـ وهو آخر من مات من الصحابة قال بذلك مسلم ، وأما ابن البرقي فقال : مات 102 هـ ، وقال مبارك ابن فضالة : إنه مات 107 هـ ، وقال بعضهم : إنه توفي 110 هـ ، والأرجح انه مات في سنة 100هـ حيث اجمع على ذلك أغلب من ترجم له . انظر الكامل / ابن الأثير ص4 ،ص160 وكتاب الوفيات ص 86 .

(10)انظر الإصابة / ص4 ،ص114.

(11) انظر الإصابة في أسماء الصحابة / ص4،ص117، الإستيعاب ص4، ص 116 .

(12). انظر العقد الفريد جـ4 ، ص30 والبداية والنهاية جـ9 ، ص190 وقد وردت بالصورة التالية:- " سأله معاوية : ما أبقى لك الدهر من ثكلك عليا ؟ فقال أبو الطفيل : ثكل العجوز المقلاة والشيخ الرقوب " والمقلاة : المرأة التي لا يعيش لها ولد ، والشيخ الرقوب : الرجل الذي لا يبقى له ولد . وانظر أدب السياسة ص372 وقد ورد فيه " ابن الطفيل " بدلا من أبو الطفيل " وهو خطأ

(13) الشاعر : هو النابغة الجعدي

(14) قال معاوية :إن أصحابي –عمرو بن العاص ومعه نفرٌ- لو سُئلوا عني أصحابي ما قالوا فيّ ما قلت في صاحبك ، انظر الأغاني جـ15 ص116

(15) أنظر بين الوفاء والفداء ص100

(16) قال الله تعالى في سورة القصص آية رقم 10 " وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ، إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين "

(17) سنثبت القصيدة كاملة أثناء حديثنا عن الشعر

(18) انظر الكامل ابن الأثير جـ4 ، ص65 ، تاريخ الطبري جـ8 ، ص 274 ، أدب السياسة د. أحمد الحوفي ص 156- 157 ، أورد الأبيات باستثناء البيت الثاني .

(19) البداية والنهاية / ابن كثير جـ9 ، ص35

(20) إن الذي روى هذا الخبر هو ابو مخنف قال : حدثني مطرف بن عامر بن واثلة الكناني إن أباه كان أول من تكلم في ذلك وكان شاعرا خطيبا ، انظر البداية والنهاية جـ9 ، ص36 .

(21) انظر البداية والنهاية جـ9 ، ص36 ، الكامل في التاريخ جـ4 ، ص 78 ، مع اختلاف النص حيث بدأ . " بعد حمد الله " أما بعد، فإن الحجاج ما يبالي أن يخاطر بكم ، فيقحمكم بلايا كثيرة ، ويغشى اللهوب واللصوب ، فإن ظفرتم وغنمتم ، أكل البلاد ، وحاز المال ، وكان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء ،

الذين لا يبالي عنتهم ولا يبقى عليهم ، اخلعوا عدو الله وبايعوا الأمير عبد الرحمن ، فإني أشهدكم إني أول خالع له ، فنادى الناس من كل جانب : فعلنا فعلنا ، فد خلعنا عدو الله " .

(22) انظر الخبر بتصرف في الكامل / لإبن الأثير جـ3 ، ص190 .

(23) ابن الكاهلية : يعني ابن الزبير

(24) أنظر الكامل جـ 3 ، ص375 ، الطبقات / ابن سعد جـ5 ، ص107 ، الأغاني جـ 15ص117

(25) مستلئما : لابسا الدرع ، العَرة : من أنواع الحرب المعدي .

(26) الدلاص : الدرع اللينة الملساء ، المقضب : السيف القاطع .

(27)انظر الخبر في الكامل / جـ3 ، ص375 ، وفيه أن الأبيات منسوبة لابنه الطفيل وهذا خطأ . وانظر الأغاني جـ15 ، ص117 . زاد الأغاني البيت الثالث ، وزاد أن ابنه يحيى كان مع أمه .

(28) انظر الأغاني جـ15 ، ص117 .

(29) أنظر مجمع الأمثال للميداني جـ1 ص397

(30) أنظر مجمع الأمثال / الميداني جـ1 ص396

(31) أنظر الأغاني جـ15 ص117

(32) أنظر شرح نهج البلاغة جـ2 ، ص252 ، وبين الوفاء والفداء ص97 .

(33) أنظر الأبيات في الأغاني جـ15، ص 116.

(34) أنظر بين الوفاء والفداء ص100

(35) أنظر البداية والنهاية جـ9 ص 190

(36) أنظر معجم البلدان جـ2 ص72 ، ثبير: بالفتح والكسر وياء ساكنة هو جبل من أعظم جبال مكة

(37) المحة: الشيء الخالص ، بيض البلد:هو بيض النعامة تتركه مهملاً

(38) أنظر سورة الأعراف آية رقم 126

(39) أنظر سورة البقرة آية رقم 155

(40) أنظر الاستيعاب جـ4 ص117 ، الأغاني جـ15 ص113 وفيه شيبته الوقائع بدل شيبتني

(41) مسلئماً: لابساً اللأمة وهي الدرع ، العُرة: نوع من الحرب المعدي

(42) الأغاني جـ15 ص117 ، الدلاص: الدرع اللينة الملساء ، المقضب: السيف القاطع

(43) الأغاني جـ15 ص119

(44) الأغاني جـ15 ص117

(45) خام: جبن ونكص

(46) سورة الأعراف آية رقم 126

(47) سورة القصص آية رقم 10

(48) سورة المعارج آية 24 ، 25

(49) سورة هود آية رقم 44

(50) انظر الاغاني جـ15 ص115

(51) أنظر الأغاني جـ15 ص119

(52) الاستيعاب جـ4 ص117

(53) أنظر الأغاني جـ15 ص117